المدينـــة

الشاعر : أحمد دحبور

لؤلؤٌ في مقام البيات،
وسبع سنابلَ يعطين، في هدأة الرصد، قمحاً،
وفي نَهوند العصافير نجوى
لكأن الندى آخذٌ بالتشكل،
هل ألفتْ ياسمينةُ نابلُسٍ -
عطرها من سؤال عن الشعر فجراً،
فرد الصدى : تلك فدوى؟
لكأن الندى آخذٌ بالتشكل،
والمبتدأ حائر بين أخباره
إنه الماء عز على كل أنهارِه
فعلى أي نهرٍ سنغفو وتصحو القصيدةُ،
صافية تتنزلُ سحراً وشجوا؟
وعلى أي عَمرٍ ترفرفُ روح ويجلو ظلام؟
إن جرزيم يسأل،
والريح تنقلُ عيبالَ من أول الشعر حتى يطيب المقام
كنت سيدةَ النهرِ سيدتي،
منذ تأتأ، في الصخرِ، نبعاً،
إلى أن تخلقَ، في غيمة، قُزحاً،
ثم ترجمته فرحاً شابه الحزن،
هذا هو النهر يحنو، ويبكي، ويهوى

ذلكم آدم يتفقد أضلاعه،
فبأي القصيدة خبأت حوا؟

ولد في السبيل إلى البيت،
فجر قنبلة الورد،
كانت عصافير عمرك مدرسةً،
ومواعيد غامضةً لا تؤدي،
وبوح مراهقة للوسادة،
والسر ينشأ في حلم النرجسةُ
ثم ألقى بوردته ولد طائشٌ،
فإذا السور يلقي الطريقَ إلى المدرسةُ

خلف شباكها قمر لا سماء له
بين أضلاعها وله
ونداء إلى ولد لم يكن ولدا
هكذا اعتقلتْ وردةٌ بلدا

خلف شباكها أورقَ الشعر :
"وحدي مع اليوم"
واليوم يولد من أمسه،
ويؤسس في يأسه غده المر،
والمر عمرك أدمن تعداده :
لا بشمس الضحى،
بل بليل الوفاة

كيف زحزحت صخرةَ موتك،
ألقيت موتك ناحيةً،
واحتضنت بِشعرك فصح الحياة؟
كيف واتاك هذا الرخام؟
إنها نعمةُ اللهِ،
أن أخا شاعراً، عذّب الصخر بالقلبِ،
حلتْ على روحه رحمةٌ وسلام
دخلَ الشعر من مسقط الضوء،
فانهزمتْ عتمةٌ،
واسترد المعاني الكلام

هكذا، حجز زعزع البركةَ المغلقةْ
الدوائر دارتْ،
ونابلُس تستعيد اسمها جبلَ النارِ،
يمشي إليها الغزاةُ،
وتمشي إليها الحياةُ،
وبينهما يحرس الجرح مستقبلَ العطرِ في الياسمينةْ
والفراشةُ مزقت الشرنقةْ
فالمدينةُ مكشوفةٌ للمدى، والقصيدةُ محمومةٌ بالثقةْ
أي سر يزوج هذا المكان لهذي المكانة؟
حتى ليهزج بالنغم الحلوِ قلب الحزينةُ :
إن هذي القصيدةَ هذي المدينةُ
كلما أحرزتُ روحها انفرج الغمر،
وانزاح عنه الظلام

غير أن الفراشةَ مطلوبةٌ للندى الأسود
أيها الموتُ، هلا كففتَ فوفّرتَ لي دمعة للغد؟
هل تفرعتَ لي فاختطفتَ الأشقّاء والأم،
أم أنني محض تجربة في يديك
أيها الموت هل أعجبتْك الفراشةُ معجونةً بالدموع،
وممسوكةً باليد؟
أيها الموت هون عليك
إن للروحِ فولاذَها العاطفي،
لقد عرف الحب قلبي،
فلملم شتاتَك يا موتُ،
لستُ لأنكر أن الفجيعة مزهرةٌ في،
أما الغراب فيرتد مني إليك

أُمسك العود،
والريح تنقلُ عيبالَ،
من أول الشعرِ حتى يطيب المقام
فرحي في يدي،
فتقدم، على ألف مهلك، يا سيدي، يا غرام
لم يضع صبر عمري سدى
هكذا ألفتْ وردةٌ بلادا
فلماذا الجنازير تهرس روحي، ويستشهد البر، فيما يموتُ الحمام؟
جبلَ النارِ قُم،
وبدأنا، فلا موتَ فينا
إنما الموتُ ألاّ نكون معاً،

وتجدد أنّا معاً مقْدساً، غزةً، وجِنينا
وحفظنا الجنين بأحشائِنا ألفَ عمرٍ،
وآن أوان الولادة في الغمرِ،
ملء العراء،
فإما حمام وإما حمام
وإذا انفض سامرنا فسأطلب أمي ونبكي سنه
إن حيفا معي، وجعي، وعلي بما أدعي، أن أجاهر بالبينه
غير أن الفراشةَ، فولاذة الروح، محكومةٌ سنه
إن حيفا معي، وجعي، وعلي بما أدعي، أن أجاهر بالبينه
غي أن الفراشةَ، فولاةَ الروح، محكومةٌ بالحياة
إنها الآن، يا أم، تحرس من تلدينَه
بشموسٍ الضحى لا بليل الوفاة
إن هذي القصيدةَ هذي المدينة
للبيوت حجارتها والحجارةُ من تربة الكلمات
مرحباً، بالأسى، بالندى، مرحبا
دمعةٌ في مقام الصبا
مرحباً بالهوى
زهر في مقام النوى
لؤْلؤٌ في مقامِ البيات